

## القرآن مهجور يشكو "تصحيح العلاقة بالقرآن الكريم"

السنة العشرون  
العدد ١٠٠٠ - ٤ / رمضان / ١٤٣٣ هـ  
الموافق ٢٤/٢٤/٢٠١٢ م

### محاور الموضوع الرئيسية:

١. فضل القرآن وعظمته
٢. اعتراف المفكرين بعظمة القرآن
٣. كيف نستفيد من القرآن الكريم؟

### الهدف:

بيان فضل القرآن وعظمته واطهار  
كيفية الاستفادة منه والتحذير من  
هجرانه

### تصدير الموضوع:

الإمام علي عليه السلام: «وَحَلَفَ فِيكُمْ  
مَا خَلَقَ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمَهَا. إِذْ لَمْ  
يَتْرَكُوهُمْ هَمَلًا بغير طريق واضح وَ  
لَا عِلْمَ قَائِمٍ. كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مُبِينًا  
حَلَالَهُ وَ حَرَامَهُ.....»<sup>(١)</sup>.

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١.

### فضل القرآن وعظمته

لقد أرسل الله تعالى الأنبياء لهداية البشرية إلى سواء السبيل، وأنزل على بعضهم كتباً لتكون مناراً يستهدي بها الناس، ولكن للأسف حُرّف الناس كتب الله تعالى كما في التوراة والإنجيل، وبذلك انحرفوا عن الصراط المستقيم ووقعوا في ضلال مبين. إلى أن أرسل الله تعالى نبيه الكريم محمداً ﷺ ليرجع الناس إلى طريق الله، ويزيلهم من الانحراف، وينير لهم الطريق، فأنزل على قلبه الكتاب الكريم القرآن المجيد وحفظه تعالى من التحريف: «إِنَّا نَحْنُ

نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»<sup>(١)</sup>. فكان الهادي والمبين والموعظة والمنير لطريق السالكين إلى الله تعالى، فهو الكتاب السماوي الوحيد الذي لم تمسه يد التحريف. يقول تعالى: «إِن مَّذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّيْلِ هِيَ أَقْوَمُ»<sup>(٢)</sup>. «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ»<sup>(٣)</sup>. «هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ»<sup>(٤)</sup>.

وحسب القرآن عظمة وكفاه منزلةً وفخراً وفضلاً أنه كلام الله العظيم، ومعجزة نبيه الكريم، وأن آياته هي المتكفلة بهداية البشر في جميع شؤونهم وأطوارهم وفي جميع أجيالهم وأدوارهم، وهي الضمينة لهم بنيل الغاية القصوى والسعادة الكبرى في العاجل والأجل. هو كلام الله و«فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»<sup>(٥)</sup>.

هو وصية الرسول ﷺ الأولى والثقل الأكبر الذي خلفه قائلاً: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»<sup>(٦)</sup>.

### اعتراف المفكرين بعظمة القرآن

وقد اعترف بعظمة القرآن وفضله المنصفون من الملل الأخرى يقول ول ديورانت: «وقد ظلّ (القرآن) أربعة

عشر قرناً من الزمان محفوظاً في ذاكرتهم (المسلمين)، يستثير خيالهم، ويشكل أخلاقهم، ويشحن قرائح مئات الملايين من الرجال. والقرآن يبعث في النفوس... أسهل العقائد، وأبعدها عن التقيد بالمراسم والطقوس، وأكثرها تحملاً من الوثنية والكهنوتية. وقد كان له أكبر الفضل في رفع مستوى المسلمين الأخلاقي والثقافي، وهو الذي أقام فيهم قواعد النظام الاجتماعي والوحدة الاجتماعية، وحضهم على اتباع القواعد الصحية، وحرر عقولهم من كثير من الخرافات والأوهام، ومن الظلم والقسوة، وحسن أحوال الأرقاء، وبعث في نفوس الأذلاء الكرامة والعزة، وأوجد بين المسلمين (إذا استثنينا ما كان يقتصره بعض الخلفاء المتأخرين) درجة من الاعتدال والبعد عن الشهوات لم يوجد لها نظير في أية بقعة من بقاع العالم يسكنها الرجل الأبيض...»<sup>(٧)</sup>.

هذه شهادة - من شهادات كثيرة - للقرآن الكريم من أحد الغربيين، وهو مؤرخ كبير معروف، أليس في شهادته دلالة على فضل القرآن وعظمته؟ أليس في شهادته وشهادة أمثاله، دلالة على مدى تأثير القرآن وفاعليته وهدايته للبشرية؟

### كيف نستفيد من القرآن الكريم:

إن من الأمور المهمة معرفة كيفية الاستفادة من القرآن العظيم - ولا يكفي أن نعرف عظمة هذا الكتاب الكريم وفضله - وذلك يكون بمعرفة أن هذا الكتاب كتاب تعليم وهداية إلى الله وإلى

(٧) قصة الحضارة، ول ديورانت، مج ٢٠١، ج ١، ص ٤٨، دار الجيل.

(١) سورة الحجر: ٩.  
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٩.  
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ١.  
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٨.  
(٥) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦، ص ٨٩.  
(٦) الحديث متواتر رواه خمسة وثلاثون صحابياً (راجع مصادره في خلاصة عبقات الأنوار الجزء الأول والثاني).

## إليه يصعد الكلم الطيب

سبيل السعادة الحقيقية.

فليس القرآن الكريم لتعليم الجهات الأدبية والنحو والصرف أو أن تأخذ منه الفصاحة والبلاغة والنكات البيانية والبيديعية وليس هو لتعليم القصص والحكايات بالنظر التاريخي والاطلاع على الأمم السابقة.

ثم أنه ليس كتاباً نقرأه للشواهد والأجر فقط ولهذا لا نعتني بغير تجويده، ونريد أن نقرأه صحيحاً حتى يعطينا لنا الثواب، ونحن مقتنعون بهذا الحد، ولهذا لا يفيدنا القرآن. فالمطلوب إذن التعلم من القرآن كيفية السير والسلوك إلى الله وكيفية التخلق بالأخلاق العالية لنصل إلى الكمال والسعادة.

### رفع الموانع والحجب:

من الآداب المهمة حتى تحصل الاستفادة من القرآن الكريم، رفع موانع الاستفادة، والحجب بين المستفيد والقرآن، وهذه الحجب كثيرة نشير إلى بعضها:

١- حجاب رؤية النفس، بحيث يرى الإنسان المتعلم نفسه غير محتاج إلى الاستفادة من هذا الكتاب العظيم. أو يرى استفادة منه ولكن في جهات لا تساعد على الهداية والسلوك إلى الله تعالى، كمن يقصر نظره إلى الجهات الفقهية أو الفلسفية أو البلاغية أو التجويدية أو غير ذلك مما لا مساس له بالمقصود الأصلي للقرآن الكريم وهو الهداية إلى الله جل وعلا، ويقنع بما هو عليه، ويختصر القرآن في الجهة التي هو فيها.

في حين أن القرآن أرشدنا إلى عدم القناعة بما نحن عليه، والإشارة إلى هذا المعنى كثيرة في القصص القرآنية، فموسى كليم الله، مع ماله من مقام عظيم ما اقتنع بذلك، وبمجرد أن لاقى شخصاً كاملاً كالخضر عليه السلام قال له بكل تواضع وخضوع: **هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ**

**تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا؟**<sup>(١)</sup>.

٢- ومن الحجب حجاب الآراء الفاسدة والمذاهب الباطلة، وأغلب هذا يوجد من التبعية والتقليد، مثلاً إذا رسخ في قلوبنا اعتقاد بمجرد الاستماع من الأب أو الأم أو من الجهلة، نبني على هذا الاعتقاد، ولا نبذله ولو أتانا واضح البرهان.

٣- ومن الحجب المانعة من الاستفادة من القرآن، الاعتقاد بأنه ليس لأحد حق الاستفادة من القرآن الشريف إلا ما كتبه المفسرون وما فهموه...

٤- حجاب المعاصي والكدورات الحاصلة من الذنوب.

٥- حب الدنيا، فيصرف القلب بواسطة تمام همته في الدنيا وحب الجاه والشرف.

### التفكير في آياته ومعانيها:

هذا ومن الآداب المهمة لقراءة القرآن التفكير، وقد كثرت الدعوة إلى التفكير في القرآن الشريف.

قال تعالى: **وَاتَزَكْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ يُسِينَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**<sup>(٢)</sup>. وقال تعالى: **فَأَقْصِرْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**<sup>(٣)</sup>.

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة. والروايات أيضاً في التفكير كثيرة، فقد نقل عن رسول الله ﷺ لما نزلت الآية الشريفة: **«إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ...»**<sup>(٤)</sup>.

قال ﷺ: **«ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها».**

### التطبيق لآياته:

ومن الآداب المهمة لقراءة القرآن التي تتيل الإنسان نتائج كثيرة والاستفادة غير المحدودة هو التطبيق.

(١) - سورة الكهف، الآية: ٦٦.

(٢) - سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٣) - سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.

(٤) - سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.

فمن أراد أن يأخذ من القرآن الشريف الحظ الوافر فلا بد له أن يطبق كل آية شريفة على حالات نفسه حتى يستفيد استفادة كاملة، مثلاً يقول تعالى: **«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رُبُّهُمْ يَتَوَكَّلُونَ»**<sup>(٥)</sup>.

فلا بد للسالك أن يلاحظ هذه الأوصاف الثلاثة منطبقة عليه، وهل قلبه يوجل إذا ذكر الله ويخاف؟ وإذا تليت عليه الآيات الشريفة هل يزداد إيماناً في قلبه؟ وهل اعتماده وتوكله على الله تعالى؟ أو أنه محروم من ذلك.

فيذا كان محروماً فليسع لتحصيل هذه الصفات، وهكذا كل آية يمر عليها يطبقها خارجاً، فالقرآن كتاب تطبيق لا كتاب ترتيل فحسب. فكما أن خلق الرسول ﷺ كان القرآن، فينبغي عليك أن يكون خلقك القرآن.

### مهجورية القرآن الكريم:

يقول تعالى: **«وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا»**<sup>(٦)</sup>.

إن مهجورية القرآن لها مراتب، ولعلنا متصفين بالعمدة منها، أترى أننا إذا جلدنا القرآن العظيم جلدًا نظيفاً وقيماً أو إذا قرأناه أو استخرناه به وقبلناه ووضعناه على أعيننا، لا نكون هاجرين له؟ أترى إذا صرفنا غالب عمرنا في تجويده والاهتمام في جهاته اللغوية والبليانية والبيديعية، ما اتخذناه مهجوراً؟ هل أننا إذا تعلمنا القراءات المختلفة، ما اتخذناه مهجوراً؟

إن عمدة هجر القرآن هو عدم تطبيقه في حياتنا الخاصة والعامة، ونحن للأسف قد نكون متصفين بهذه المرتبة من الهجر، حيث لا نأخذ تعاليم القرآن في حسابنا.

(٥) - سورة الأنفال، الآية: ٢.

(٦) - سورة الفرقان، الآية: ٣٠.

